
المنظومة
ALMANDUMAH



السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ مَنْهَجُ حَيَاةٍ

نُبْذَةٌ في أَهَمِّيتِها، وفيِ أَوَائِلِ مُصَنِّفِيها

إعداد: أ.د.عامر حسن صبري التَّمِيمي

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَىٰ سَيِّدنا مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ إلىٰ يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ قُرْآنًا يَمْشِي عَلَىٰ الأَرْضِ، ولأَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ سِيرَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ مِنْهَاجَ حَيَاةٍ، تُنَظِّمُ حَيَاةَ الإنْسَانِ في كُلِّ أَطْوَارِهِ وَمَرَاحِلِه، وفي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِه، مِنْ عِبَادَاتِه، وَمُعَامَلاَتِه، وَسِلْمِهِ، وَحَرْبِهِ، وَعِلاَقَاتِهِ بِكُلِّ مَنْ حَوْلَهُ، وتَتَولَّىٰ بَيَانَ الآدَابِ اليَوْمِيَّةِ الصَّغِيرةِ، كَمَا تَتَولَّىٰ بَيَانَ التَّكَالِيفِ العَامَّةِ الكَبِيرَةِ، وَتُنَسِّقُ بَيْنَها جَمِيعًا، لِنَصِلَ بَعْدَ ذَلِكَ إلىٰ رِضْوانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَغُفْرَانِه، ولِذَلِكَ كَانَ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةُ نَبِيِّه ﷺ مَصْدَرا سَعَادَةِ الفَرْدِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَصَدَقَ اللهُ تَعَالَىٰ إذْ قَالَ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [سورة النساء :٥٩]، فَهُمَا خَيْرٌ في الدُّنْيَا، وخَيْرٌ في الآخِرَةِ، وَهُمَا كَذَلِكَ أَحْسَنُ مَآلاً في الدُّنْيَا والآخِرَةِ .

وتَبْرُزُ مَزَايَا سِيْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في نُقَاطٍ عِدَّةٍ، أُجْمِلُ أَهمَّها وأَبرَزَها فِيمَا يأْتِي :

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ تَطْبِيقٌ عَمَلِيٌّ لأَحْكَامِ الإِسْلام وشَرِيعَتِهِ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الأَمْثَلُ والأَكْمَلُ لِفَهْمِ الدِّينِ كُلِّه، عَقِيدةً، وَشَرِيعةً، وَخُلُقًا، ولاَ سَبِيلَ لإِصْلاَحِ الأَفْرَادِ والـمُجْتَمَعَاتِ إلاَّ بِهَا، وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالىٰ باتِّبَاعِ هَدْيِهِ والاسْتِنَانِ بسُنَّته، فَقَالَ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[سورة الأحزاب:٢١]، ولَـمَّا سُئِلَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا عَنْ خُلُقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ)(١) .

* أَنَّ سِيْرَتَهُ ﷺ هِيَ الضَّمَانُ الوَحِيدُ لِنَيْلِ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ وَثَوَابِهِ الأُخْرَوِيِّ، كَمَا أَنَّهَا الضَّمَانُ الأَكِيدُ وَالوَحِيدُ لِلْرَّخَاءِ الدُّنيوِيِّ، ولاَ ضَمَانَةَ حَقِيقِيَّة لاسْتِقَامَةِ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ إلاَّ بِلـزُومِ هَدْيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالاسْتِنَانِ بِسُنَّتِهِ، وهذا مَا قَرَّرهُ القُرْآنُ الكَرِيمُ في مَوَاضِعَ كَثِيرةٍ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾[سورة النساء : ٦٩-٧٠]، قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم : (وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا

(١) رواه أحمد في المسند ٤٢/ ١٨٣، وإسناده صحيح .

وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[1].

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ تَحْكِي شَخْصِيَّةَ الْمُسْلِمِ فِي أُفُقِهَا الأَعْلَىٰ، فَهِيَ دُسْتُورٌ دَائِمٌ يَفِي بِمَطَالِبِ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ فِي حَيَاتِهَا الْفَرْدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّةِ، وَيَهْدِيهَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرِّفْعَةِ فِي حَيَاةِ الأَرْضِ بِقَدْرِ مَا تُطِيقُ، ثُمَّ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الأُخْرَىٰ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ...)[2].

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ تُعَدُّ مِيزَانًا ثَابِتًا يُوزَنُ بِهَا إِيمَانُ الرَّجُلِ وَإِخْلَاصُهُ لِلدِّينِ، فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِهَدْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُوَ الْمَقْبُولُ، وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِهَدْيِهِ فَهُوَ الْمَرْدُودُ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[3].

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ لَتُؤَكِّدُ عَلَىٰ بَشَرِيَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَىٰ سَائِرِ الْبَشَرِ بِكُلِّ الْمُقْتَضَيَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَازُ عَلَيْهِم بِالنُّبُوَّةِ، وَالْعِصْمَةِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ بِأَنَّ النَّصْرَ الَّذِي جَرَىٰ لَهُ ﷺ إِنَّمَا تَحَقَّقَ مِنْ خِلَالِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالتَّعَامُلِ مَعَ السُّنَنِ الْجَارِيَةِ الَّتِي تَحْتَمِلُهَا عَزَمَاتُ الْبَشَرِ وَطَاقَاتُهُم، وَأَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ تَعْلِيقِ النَّصْرِ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَوُجُودِ الأَسْبَابِ، وَبِهَذَا تَكُونُ سِيرَتُهُ ﷺ أَسَاسًا لِلأُمَّةِ فِي بِنَاءِ طَرِيقِهَا.

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ تَرْسُمُ الْمَنْهَجَ الصَّحِيحَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَىٰ عِلْمٍ، وَبُرْهَانٍ شَرْعِيٍّ وَعَقْلِيٍّ، وَبِالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، وَلَيْسَ هُنَاكَ نَهْجٌ يُقْتَدَىٰ بِهِ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِلَّا نَهْجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ: (وَلَا يَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ إِلَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ... فَسَبِيلُهُ وَسَبِيلُ أَتْبَاعِهِ

(١) زاد العباد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ١/ ٦٩.
(٢) رواه مسلم (٨٦٧).
(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

الدَّعْـوَةُ إِلَىٰ اللهِ، فَمَنْ لـم يَدْعُ إِلَىٰ اللهِ فَلَيْسَ عَلَىٰ سَبيلِهِ)[١].

* أَنَّ سِيْرَتَهُ ﷺ فِيهَا تَعْمِيقٌ لِـمَحَبَّتِه، وهَذا مَا قَـرَّرهُ اللهُ تَعالَىٰ فَقَـالَ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[سـورة آل عمـران :٣١]، وَقَـالَ عَلَيْـهِ الصَّـلاةُ وَالسَّـلامُ: (لَا يُؤْمِـنُ أَحَدُكُـمْ حَتَّـىٰ أَكُـونَ أَحَـبَّ إِلَيْهِ مِـنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[٢]، ومَحَبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَبْلَهَـا مَحَبَّـةُ اللهِ تَعَالَىٰ هِـيَ أَفْضَلُ القُرُبَـاتِ وأَجَـلُّ الطَّاعَاتِ، وَهَذِه الـمَحَبَّةُ لَـهُ عَلَيْـهِ الصَّـلاةُ والسَّـلامُ لاَ تَتَحَصَّـلُ إلاَّ بِقِرَاءَةِ سِـيْرَتِه، وَمَعْرِفَةِ حَيَاتِهِ الشَّـرِيفَةِ، وأَنْ يَكُـونَ لهذا الحُبِّ آثَارٌ قَلْبِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ في حَياةِ الـمُسْلِمِ.

* أَنَّ سِـيْرَتَهُ ﷺ تَكْشِـفُ عَنْ طَبِيعَةِ شَـمَائِلِه، وَصِفَاتِهِ، وَحُسْنِ تَعامُلِه، فَمَنْ يُطَالِعُ السِّيْرَةَ الشَّـرِيفَةَ فَسَيَجِدُ حَيَاةً عَطِرَةً، عَامِرَةً بالخَيْرِ، والعَطَـاءِ، والأَدَبِ، والكَرَمِ، والسَّـخَاءِ إِلىٰ غَيْرِ ذَلِـكَ مِن الصِّفَـاتِ الفَاضِلَةِ، والآدَابِ الكَامِلَـةِ الشَّـاهِدَةِ بِصِدْقِه، والتي شَـهِدَ بِهَا أَعْدَاؤُهُ بِصِدْقِهِ وأَمَانَتِـهِ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَبَعْدَ بَعْثِهِ ﷺ.

* أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ تُشِيرُ إِلىٰ حَقَائِقَ تَتَعلَّقُ بِدَلائِلِ نُبُوَّتِـهِ وَمُعْجِزَاتِـهِ، وأَنَّهـا جَـاءَتْ تَصْدِيقًـا لِرِسَالَتِهِ، وَبِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِه، مِمَّا يَزِيدُ إِيمَانَ القَلْـبِ يَقِيناً بِصِدْقِ هَـذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَحُبِّه، واتِّبَاعِه.

* أَنَّ سِـيْرَتَهُ ﷺ تُعِينُ عَلَـىٰ فَهْـمِ كِتَـابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتُسْهِمُ فِي مَعْرِفَةِ دِلَالَاتِهِ وَمَقَاصِدِه، بَـلْ إِنَّ كَثِيراً مِنْ آيَـاتِ القُرْآنِ إِنَّما يُفَسِّـرُها وَيُجَلِّيهَـا الأَحْـدَاثُ الَّتي مَرَّتْ بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ وَمَوْقِفِهِ مِنْهَا.

* أَنَّ سِـيْرَتَهُ ﷺ تَسْتَشْرِفُ طَرِيقَ النَّصْرِ وَالعِزِّ والتَّمْكِينِ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يُرِيـدُ إِعادَةَ بِناءِ هَذِه الأُمَّةِ وإِحْيَاءَهَا، لِتَنْهَـضَ مِنْ جَدِيدٍ بِتَبِعَاتِهَا وَدَوْرِهَـا، وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّـقُ وَعْدُ اللهِ لِعِبَادِهِ في قَوْلِـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة النُّور: ٥٥].

* أَنَّ سِـيْرَتَهُ ﷺ تَتَمَيَّـزُ بِوضُوحِهَـا لِجَمِيعِ مَرَاحِلِ حَيَاتِه الشَّـرِيفَةِ قَبْلَ النبـوةِ وَبَعْدَهَا، مُنْـذُ زَوَاجِ أَبِيـهِ عَبْدِ اللهِ بِأُمِّه آمِنَـةَ إِلىٰ وَفَاتِهِ

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه ص٢١ بتصرف.
(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



ﷺ، تجعلهُ كَأَنَّهُ حَيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا.

❋ أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ أَصَحُّ سِيْرَةٍ لِتَارِيخِ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَقَدْ تَضَافَرتْ جُهُودُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَىٰ نَقْلِهَا وِفْقَ مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ فَذٍّ، لاَ يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ في الدُّنْيا، وَرَوَوْهَا بِأَسَانِيدَ مُوثَّقَةٍ وَمَقْبُولَةٍ إلاَّ في أُمُورٍ يَسِيرَةٍ لَيْسَ لَها شَيءٌ ذو بَالٍ، وبِذَلِكَ تَحَقَّقَ الوَعْدُ الرَّبَّانِيُّ في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[سورة الحجر: ٩].

❋ أَنَّ سِيرَتَهُ ﷺ أَظْهَرتْ مَعْدَنَ أُولَئِكَ الرِّجَالِ العِظَامِ الَّذِينَ أَحَاطُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَآمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ، وكَانُوا أَصْلَحَ جِيلٍ خَلَقَهُ اللهُ لِحَمْلِ رَايَةِ الدِّينِ وتَبْلِيغِهِ، وَكَانَ جَزَاءُ طَاعَتِهِمْ، وَنَصْرِهِم، وَصِدْقِ سَرِيرَتِهِم، أَنْ وَعَدَهُم اللهُ بِالـمَغْفِرَةِ، والأَجْرِ العَظِيمِ،كَمَا جَاءَ ذَلِكَ في مَوَاضِعَ كَثِيرةٍ مِنْ كِتَابِهِ العَزِيزِ، وِمنْهَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ في أَوَاخِرِ سُورَةِ الفَتْحِ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾.

❋ ❋ ❋

الرُّوادُ الأَوَائِلُ لِـمُصَنِّفِي المَغَازِي وَالسِّيرِ:

لاَ غَرْوَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا مَزَايَا السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ أَنْ تُدْرِكَ الأُمَّةُ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، وَجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ -مِنْ عَصْرِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ- أَهَمِّيَتَهَا، فَكَانَتْ مَعَ القُرْآنِ الكَرِيمِ قِوَامَ الأُمَّةِ وَمِلاَكَهَا، ورَأْسَ أَمْرِهَا قَوْلاً، وَعَمَلاً، واعْتِقَاداً، ولأَجْلِ ذَلِكَ أَوْلَوْهَا عِنَايَةً فَائِقَةً، وَجُهُودًا ضَخْمَةً.

يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ عَنْ التَّابِعيِّ عُبَيْدِ اللهِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: (كُنَّا نَحْضُرُ ابنَ عَبَّاسٍ، فَيُحَدِّثنا العَشِيَّةَ كُلَّهَا في المَغَازِيِّ ...)[1].

ومَا ثَبَتَ عَنِ الإمَامِ الجَلِيلِ زَيْنِ العَابِدِينَ عَلِيِّ بن الحُسَيْنِ بن عَلِيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ وَجدِّه أَنَّهُ قَالَ: (كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ)[2].

وكَانَ الإِمَامُ الكَبِيرُ مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ عَالِمُ الحِجَازِ والشَّامِ يَقُولُ:

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ في الجزء المتمم للطبقة الخامسة ١/ ١٦١ (تحقيق محمد بن صامل السلمي).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٥، والمقصود بالمغازي غزوات رسول الله ﷺ وسراياه، وهو السّير إلىٰ القتال مع العدو، ويشمل كذلك حياته عليه الصلاة والسلام في العهد المكي والمدني.
وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام زين العابدين الهاشمي العلوي المدني، من سادات التابعين علما وورعا، أمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، توفي سنة (٩٤)، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(فِي عِلْمِ الْمَغَازِي عِلْمُ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا)[١].

وهذا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيُّ، يَقُولُ: (كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَايَاهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا)[٢].

وَتَمَثَّلَتْ عِنَايَةُ السَّلَفِ بالسِّيْرةِ النَّبَوِيَّةِ -بَعْدَ التَّوَاصِي بِتَعَلُّمِهَا وَتَدَارُسِهَا وَدِرَاسَتِهَا- أَنْ تَوَجَّهُوا إِلَىٰ تَدْوِينِهَا في زَمَنٍ مُبَكِّرٍ، فَقَدْ قَامَ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُم:

* عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ ابنِ عَبْدِ العُزَّىٰ بنِ قُصَيٍّ الأَسَدِيُّ، أَبو عَبْدِ اللهِ المَدَنيُّ (ت٩٣)[٣].

* وأَبَانُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ المَدَنيُّ، (ت بعد ١٠١)[٤].

* وَشُرَحْبِيلُ بنُ سَعْدٍ، أَبو سَعْدٍ الخَطْمِيُّ المَدَنيُّ مَوْلَىٰ الأَنْصَارِ (ت١٢٣)[٥].

* ومُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ شِهَابِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ ابنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ القُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ، أَبو بَكْرٍ الحَافِظُ المَدَنِيُّ (ت١٢٤)[٦].

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٥.
والزهري هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة المدني، نزيل الشام، الإمام العلم حافظ زمانه، كان أعلم بالسنة في زمانه، وأحد أكابر الحفاظ، كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يقول عنه: (عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه)، توفي سنة (١٢٥)، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٥، والذكر هنا يعني: الشرف، كما قال الله تعالىٰ: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أي فيه شرفكم وعزَّتكم ورفعتكم.
وإسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص أبو محمد الزهري المدني، كان من فقهاء المدينة، توفي سنة (١٣٤)، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢٨، وأبوه: محمد بن سعد بن أبي وقاص مالك الزهري المدني، الإمام الثقة، كان ممن قام علىٰ الحجاج مع ابن الأشعث، فأسر يوم دير الجماجم، فقتله الحجاج سنة (٨٢)، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٨.

(٣) وهو أول من صنف في المغازي، كما في الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٢٨.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٠ في ترجمة أبي الأسود: (نزل أبو الأسود مصر، وحدَّث بها بكتاب المغازي لعروة ابن الزبير عنه)، وقام الدكتور محمد مصطفىٰ الأعظمي بجمع مرويات عروة في السيرة برواية أبي الأسود يتيم عروة، ولكنه لم يستوعب، وهو مطبوع في مجلد بعنوان: (مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير)، وجمعها علىٰ نحو أفضل عادل عبد الغفور في رسالته لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٤) قال ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٢١٠ في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة: (وكان ثقة قليل الحديث، إلاَّ مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيرا ما تقرأ عليه، ويأمرنا بتعليمها).

(٥) قال سفيان بن عيينة: (كان يفتي، ولم يكن أحد أعلم بالمغازي منه)، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٣٠.

(٦) قام الدكتور سهيل زكار بجمع مرويات الزهري من مصنف عبد الرزاق في كتاب سماه: (المغازي النبوية)، وطبعه في مجلد، وقام الدكتور محمد بن محمد العواجي بجمعها أيضا في رسالته للدكتوراه بعنوان: (مرويات الإمام الزهري في المغازي)، وهو= =مطبوع في مجلدين، وعمله أفضل من عمل الدكتور زكار.

* وَعَبْدُ اللهِ بنُ أَبي بَكْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ الأَنْصَارِيُّ، أَبو مُحَمَّدٍ، ويُقَالُ: أَبو بَكْرٍ المَدَنِيُّ (ت١٣٥)[١].

* ومُوسَىٰ بنُ عُقْبَةَ بنِ أَبي عَيَّاشٍ الأَسَدِيُّ، مَوْلَىٰ آلِ الزُّبَيْرِ، ويُقَالُ: مَوْلَىٰ أُمِّ خَالِدٍ بنتِ سَعِيدِ بنِ العَاصِّ زَوْجِ الزُّبَيْرِ (ت١٤١)[٢].

* وسُلَيْمَانُ بنُ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ، أَبو المُعْتَمِرِ البَصْرِيُّ (ت١٤٣)[٣].

* ومُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَسَارِ بنِ خِيَارٍ، وَقِيلَ: ابنُ كُوْثَانَ، أَبُو بَكْرٍ، وَقِيلَ: أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ، المُطَّلِبِيُّ مَوْلَاهُم، المَدَنِيُّ، نَزِيلُ العِرَاقِ (ت١٥١)[٤].

هَؤُلَاءِ هُم الرُّوادُ الأَوَائِلُ لِمُصَنِّفِي المَغَازِي والسِّيَرِ، وكُلُّ كُتُبِهِم - سِوَىٰ سِيرةِ ابنِ إِسْحَاقَ- فِي حُكْمِ المَفْقُودِ، ولاَ يُوجَدُ مِنْهَا شَيءٌ سِوَىٰ نُقُولاَتٍ عَنْهَا.

***

نُبْذَةٌ عَنْ مَصَادِرِ السِّيرَةِ:

ثُمَّ تَوَجَّهَتْ هِمَّةُ العُلَمَاءِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَىٰ العِنَايَةِ بالسِّيرةِ المُشَرَّفَةِ بِنِطَاقٍ أَوْسَعَ، وَبِنِظَامٍ أَتَمَّ، مِنْ حَيْثُ الجَمْعُ، والتَّأْلِيفُ، وَالتَّوْثِيقُ، وَالإِفَادَةُ، وَكَانُوا يَتَنَاقَلُونَهَا جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ،

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٥ في ترجمته: (الإمام الحافظ أبو محمد الأنصاري صاحب المغازي، وشيخ ابن إسحاق).

(٢) كان إمام دار الهجرة مالك بن أنس إذا سئل عن المغازي يقول: (عليك بمغازي الرجل الصالح موسىٰ بن عقبة، فإنه أصح المغازي)، رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٧١، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٩٥، ورواه عنه: البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٠١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٦٥، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٦: (أما مغازي موسىٰ بن عقبة فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلىٰ زيادة بيان، وتتمة، وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمىٰ بكتاب دلائل النبوة، وقد لخصت أنا الترجمة النبوية، والمغازي المدنية، في أول تاريخي الكبير، وهو كامل في معناه إن شاء الله)، وجمع أستاذنا العلامة الدكتور أكرم العمري كثيراً من مرويات هذه السيرة، ونشرها في بحث بمجلة كلية الدراسات الإسلامية، ببغداد، العدد الأول، عام (١٣٨٧)، وقد قام الدكتور محمد باقشيش أبو مالك بجمع مغازي موسىٰ بن عقبة في رسالة علمية، وطبع في مجلد، وانتقىٰ ابن قاضي شهبة بعضه في جزء صغير، وقد طبع.

(٣) كتابه في السيرة رواه عنه ابنه معتمر، وقد حمله عنه محمد بن عبد الأعلىٰ الصنعاني، وقد فقدت إلا قسما صغيرًا، وقد نشرها المستشرق فون كريمر في ختام كتاب المغازي للواقدي، وطبع بكلكتا عام (١٨٥٦م).

(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٦ في ترجمته: (ولا ريب أن ابن إسحاق كثر وطول بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة، حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح، لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلىٰ تنقيح وتصحيح، ورواية ما فاته)، أقد وصلتنا قطعة من سيرة ابن إسحاق، وهي مطبوعة، وقام عبد الملك بن هشام (ت٢١٨) بتهذيبه، فحذف منه ما لا يصح، وخاصة من الأشعار المختلقة، وأضاف فيه ما يحتاج إليه، وهو مطبوع متداول، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ١٧٧ في ترجمته: (جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذَّبها، ولخَّصها وشرحها السهيلي ...وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام).

وَطَبَقةً بَعْدَ طَبَقَةٍ بأَسَانِيدِهَا وَطُرُقِهَا الـمُخْتَلِفَةِ، حَتَّىٰ تَوَافَرَ لَدَيْنَا قَدْرٌ هَائِلٌ، وَثَرْوَةٌ عَظِيمَةٌ، ومِيرَاثٌ صَحِيحٌ عَنْ سِيرةِ سَيِّدِ الكَائِنَاتِ ﷺ(١).

ولاَ نَنْسَ أَنَّ كَثِيراً مِنْ مَرْوِيَّاتِ السِّيرةِ الـمُشَرَّفَةِ رُويتْ في كُتُبِ التَّارِيخِ العَامِّ الـمُسْنَدةِ، مِثْل: تَارِيخ خَلِيفةِ بنِ خَيَّاطٍ (ت٢٤٠)، وتَارِيخ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ (ت٣١٠).

وكَذَا تَارِيخ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، فَقَدْ رَوَتْ جُمْلَةً وَافِرةً مِنْ أَحْدَاثِ السِّيْرَةِ الشَّرِيفَةِ قَبْلَ النبوةِ وَبَعْدَهَا، كَتَارِيخ مَكَّةَ للأَزْرَقِيِّ (ت في حدود٢٥٠)، وأَخْبَارِ مَكَّةَ للفَاكِهِيِّ (ت في حدود٢٧٢)، وتَارِيخِ الـمَدِينةِ لِعُمَرَ بنِ شَبَّةَ (ت٢٦٢)، وَفَضَائِلِ الـمَدِينةِ لأَبي سَعِيدٍ الجَنَدِيِّ (ت٣٠٨).

كَمَا أَنَّ مَرْوِيَّاتٍ كَثِيرةً تَتَعَلَّقُ بالسِّيرةِ جَاءَتْ في كُتُبِ التَّرَاجِمِ، مِثْل: طَبَقَاتِ مُحَمَّدِ بنِ سَعْدٍ (٢٣٠)، والتَّارِيخ الكَبِيرِ والأَوْسَطِ للبُخَارِيِّ (ت٢٥٦)، والتَّارِيخ الكَبِيرِ لابنِ أَبي خَيْثَمَةَ (ت٢٧٩)، والـمَعْرِفَةِ والتَّارِيخِ لِيَعْقُوبَ بنِ سُفْيَانَ (ت٢٧٧) وغَيْرِهَا.

وجَاءَتْ أَحْدَاثُ السِّيْرةِ الـمُشَرَّفَةِ كَذَلِكَ في بَعْضِ كُتُبِ التَّفَاسِيرِ الـمُتَقَدِّمَةِ، مِثْلَ: تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (ت٢١١)، وَتَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ، وَتَفْسِيرِ ابنِ أَبي حَاتِمٍ (ت٣٢٧) وَغَيْرِهَا.

وَرُويتْ أَيْضًا في بَعْضِ كُتُبِ الفِقهِ الـمُسْنَدَةِ، مِثْل: كِتَابِ الأُمِّ لِلْشَّافِعِيِّ (ت٢٠٤)، وكِتَابِ الحُجَّةِ عَلَىٰ أَهْلِ الـمَدِينةِ لـمُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ (ت١٨٩)، وكِتَابِ الأَمْوَالِ لأَبي عُبَيْدٍ (ت٢٢٤)، ولابنِ زَنْجَوَيه (ت٢٥١)، وكِتَابِ الخَرَاجِ لأَبي يُوسُفَ (ت١٨٣) وَغَيْرِهَا.

ولَكِنَّ قُطْبَ الرَّحَىٰ في أَحْدَاثِ السِّيْرَةِ الـمُشَرَّفَةِ وَعَمُودَهَا الرَّاسِخ مَا جَاءَ في كُتُبِ الحَدِيثِ، فَهِيَ الرَّكِيزَةُ الأَسَاسِيَّةُ في جَمِيعِ أَحْدَاثِهَا، لاَ يُسْتَغْنَىٰ عَنْهَا ولاَ يُسْتَعَاضُ بِغَيْرِهَا، وَعَلَىٰ رَأْسِهَا: الكُتُبُ السِّتَّةُ، وَالـمَسَانِيدُ، ومِنْ أَهَمِّهَا مُسْنَدُ أَحْمَدَ، والـمَعَاجِمُ وعَلَىٰ رَأْسِهَا مَعَاجِمُ الطَّبَرانيِّ الثَّلاَثَةُ وَغَيْرُهَا، فَقَدْ حَفلَتْ بذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاةِ رَسُولِ ﷺ، وَمَغَازِيهِ، وَخَصَائِصه، وَمَنَاقِبِهِ، وآدَابِه، وأُمُورِ

(١) قامت دراسات كثيرة في رصد المصنفات القديمة والحديثة في خدمة السيرة المشرفة، فمنها: (مصادر السيرة النبوية،دراسة تحليلية نقدية لبعض مصادر السيرة النبوية) للدكتور ضيف الله بن يحيىٰ الزهراني، و(مصادر السيرة النبوية وتقويمها) للدكتور فاروق حمادة، و(علم المغازي بين الرواية والتدوين في القرنين الأول والثاني للهجرة) للدكتور محمد أنور بن محمد علي البكري، و(أوائل المؤلفين في السيرة النبوية) للدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف، و(المغازي الأولىٰ ومؤلفاتها) ليوسف هوروفتس، و(جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين) للدكتور عبد الحميد بن علي فقيهي.



أُخْرَىٰ تَتَعَلَّقُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، كَمَا أَنَّ عُلَمَاءَ الحَدِيثِ عَنَوا بِتَآلِيف مُسْتَقِلَّةٍ لِبَعْضِ مَوْضُوعَاتِ السِيْرَةِ، كَإِفرادِ مُؤَلَّفَاتٍ فِي شَمَائِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفِي دَلائِلِ نُبُوَّتِهِ، وفِي زُهْدِهِ، وَجِهَادِهِ، وخَصَائِصِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَتَتَمَيَّزُ كُتُبُ الحَدِيثِ عَنْ كُتُبِ السِّيرَةِ بِوَضْعِ قَوَاعِدَ صَارِمَةٍ لِقَبُولِ الحَدِيثِ، فَقَدْ خَضَعَتْ لِمَوَازِينِ الجَرْحِ والتَّعْدِيلِ، مِثْلِ المُحَافَظَةِ عَلَىٰ الإِسْنَادِ فِي أَكْثَرِ المَرْوِيَّاتِ، وَالرِّوَايَةِ فِي الغَالِبِ عَنِ المَقْبُولِينَ، والابْتِعَادِ عَنِ الرِّوايَاتِ المَوْضُوعَةِ وَالمَنْحُولَةِ .

وقَالَ أُسْتَاذُنَا العَلاَّمَةُ المُحَقِّقُ أَكْرَمُ العُمَرِيُّ: (ولاَ شَكَّ أَنَّ مَادَةَ السِّيْرَةِ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ مُوَثَّقَةٌ، يَجِبُ الاعْتِمَادُ عَلَيْهَا، وَتَقْدِيمُهَا عَلَىٰ رِوَايَاتِ كُتُبِ المَغَازِي والتَّوَارِيخِ العَامَّةِ، وَخَاصّةً إذا أَوْرَدَتْهَا كُتُبُ الحَدِيثِ الصَّحِيحةِ، لأَنَّها ثَمَرَةُ جُهُودٍ جَبَّارَةٍ، قَدَّمَهَا المُحَدثونَ عِنْدَ تَمْحِيصِ الحَدِيثِ وَنَقْدِه سَنَداً وَمَتْناً، وَهَذا التَّدْقِيقُ والنَّقْدُ الَّذِي حَظِيَ بِهِ الحَدِيثُ لم تَحْظَ بِهِ الكُتُبُ التَّارِيخيةُ، ولَكِنْ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ إلىٰ أَنَّ كُتُبَ الحَدِيثِ - بِحُكْمِ عَدَمِ تَخَصُّصِهَا - لاَ تُورِدُ تَفَاصِيلَ المَغَازِي وأَحْدَاثَ السِّيْرَةِ، بَلْ تَقْتَصِرُ عَلَىٰ بَعْضِ ذَلِكَ، مِمَّا يَنْضَوِي تَحْتَ شَرْطِ المُؤَلِّفِ أَو وَقَعَتْ لَهُ رِوَايَتُهُ، وَمَنْ ثَمَّ فَإِنَّها لاَ تُعْطِي صُورَةً كَامِلَةً لِمَا حَدَثَ، وَيَنْبَغِي إِكْمَالُ الصُّوْرَةِ مِنْ كُتُبِ السِّيرةِ المُختصةِ، وإلاَّ فَقَدْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إلىٰ لَبْسٍ كَبِيرٍ)[١].

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِه وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ المُتَّقِينَ، وَسَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ، نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، والتَّابِعِينَ لهم بإِحْسَانٍ إلىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأستاذنا أكرم العمري حفظه الله ١/ ٥٠ .

ولا ننس بعد العرض الموجز لمصادر السيرة النبوية كتاب الله تعالىٰ، فهو يأتي في مقدمة هـذه المصادر في معرفة الملامح العامة لحياة النبي ﷺ، وفي الاطلاع علىٰ المراحل الإجمالية لسيرته الشريفة، وقد استخرج بعض الباحثين سيرة رسول الله ﷺ من كتاب الله تعالىٰ، يأتي في مقدمتهم الأستاذ محمد عزة دروزة، فقد صنف كتابا في مجلدين بعنوان : (سيرة الرسول ﷺ، صورة مقتبسة من القرآن الكريم)، وألف الدكتور عبد الصبور مرزوق كتابا سماه : (السيرة النبوية في القرآن الكريم)، وألف الدكتور محمد الراوي كتابا بعنوان : (الرسول في القرآن الكريم) .